أ. د. سلمان هادي آل طعمة
Archive of SID

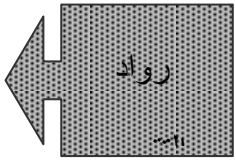

جمال الدين الحسيني و الصحوة الإسلامية

يشهد المجتمع الإنساني في العصر الحديث ألواناً من التضامن البشري والروابط الإنسانية مادامت هناك مشاعل إنسانية متوهجة من المصلحين تنير الطريق، وبأفكار هؤلاء استطاع دعاة الحرية أن يؤثروا في بث ونشر العقائد الحقة بين الناس وشرحها لهم على الوجه المناسب والقيام باستئصال ما رسخ في عقول العوام من خرافات وأوهام. ومن أولئك الدعاة والمصلحين والمفكرين والواعين الثائرين الذين أثروا في توجيه الحركات الحرة والحركات الدستورية التي قامت في الدول الإسلامية أبان العهود السالفة، والنهضة الاجتماعية ومكافحة الاستعمار السيد جمال الدين الأسد آبادي الشهير بالأفغاني رائد حركة الإصلاح في العصر

www.SID.ir

Archive of SID

الحديث. لقد كرّس كل جهوده وطاقته في سبيل توعية الشعوب الشرقية وزرعه بذور الحرية في أفكارها.

ولابد لنا ونحن في معرض حديثنا عن السيد جمال الدين الحسيني الأسد آبادي أن نشير إلى شخصيته كمصلح ساهم في بناء الحضارة وتقدم الإنسانية.

يحتل اسم السيد جمال الدين الصدارة في تاريخ الصحوة الإسلامية والفكر الإسلامي المعاصر، كونه رائداً من رواد الإصلاح الديني والاجتماعي. هذا الفتى المتأهب للنضال بما ورثه من صلابة وقوة، وما تعلمه خلال مراحل حياته يكفيه تحدي وعي المتلقي وعقله وفكره بالحجج الدامغة، واختط لنفسه طريقاً لاحبا ومنهاجاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض؛ فأول شيء نلاحظه عند الكلام على علاقاته أنه أولى إهتماماً خاصاً بالثقافة بحرية كاملة مما أكسبه شهرة عالية في البلاد الشرقية والشعوب الإسلامية .

ورأى فيه المفكرون مثالاً رائعاً للثورة والتمرد والشجاعة الوافية والدهاء الوارف، فهو يحمل طاقات إبداعية كبيرة، فكان صورة جامعة للفضائل التي يتخذها قراؤه قدوة صالحة لحياتهم، منذ أن وطأت قدماه ساحة

www.SID.ir

Archive of SID

الجهاد والتضحية لبلوغ الهدف الذي جاء من أجله وهو إقامة دولة إسلامية موحدة ومحاولة الإصلاح التعليمي والاجتماعي والسياسي والثورة على التخلف والعبودية. لابد من التذكير أن السيد جمال الدين ثائر من ثوار حضارتنا، سار في درب تقدمنا الثوري والفكري والحضاري عبر العصور التأريخية، وقد بلغ من صراحة الرأي وحرية التفكير حداً جعل عقيدته الدينية موضع جدل لدى كثير من الباحثين. وأن نشاطه الذهني ودأبه العلمي طلباً للكمال، ثم بُعد همته ومثابرته وكثرة أسفاره بين البلاد، وشبابه وكهولته وشيخوخته، هي التي دفعت السيد جمال الدين إلى مجالات متنوعة وكثيرة، وساعدت على بروز شخصيته من غير شك. وبالرغم من أن هذه الأسفار أفادته معرفة بأحوال الممالك الإسلامية وسياسة دولها، وكونت له علاقات واسعة مع القادة العرب بخاصة ممن كانت لهم مكانة في الحركات الإسلامية، لكنني أرى أنه أفاد هذه الدول أكثر مما أفادته.

كان عصر جمال الدين من ألمع عصور البطولة والكفاح والتحرر الوطني في تاريخنا المجيد، ولعل أبرز صورة فكرية لذلك العصر هي صورة الاستبداد الغربي التي

www.SID.ir

Archive of SID

صورها السيد جمال الدين بقوله: (إن الغرب مناهض للشرق، والروح الصليبية لم تبرح كامنة في الصدور، كما كانت في قلب بطرس الناسك وإنها تحاول بكل الوسائل القضاء على كل حركة يحاول المسلمون للإصلاح والنهضة).

إن سيرة السيد جمال الدين خليقة بالدرس، وأن يثار الكلام عليها في الناحية التي يجب أن يصاغ عليها تاريخ الرجال دون غيرها. والحق يقال أنه كان من أجَلّ الشخصيات الفكرية عقلاً وعدلاً وتدبيراً وجهاداً في سبيل الله، وأبرز مثال على ذلك الثقافة الشعبية التي يتناقلها جيل عن جيل عنه وعن النوابغ الكبار الذين عاصروه، وقد دلت سيرته في هذا الشأن على رجل مثالي عديم النظير في اعتكافه على الدرس والتحصيل، وقد أعاد للحضارة الإسلامية بهاءها ورونقها وقوتها في أقسى الظروف وأحلكها .

لقد أبغض السيد جمال الدين الاستعمار الذي تمثل بالحقد والكراهية على الإسلام، وأنشب أظفاره في أهم مرافق حياة الأمة، وكان همه أن ينشئ الكوادر الكفوءة من حاملي مشعل العلم والإيمان لإنهاض الشرق من غفلته وبرئه من علته وحمايته من الفساد

www.SID.ir

Archive of SID

والمفسدين، وكانت كلماته ترن في الآذان: (هبوا من غفلتكم وامحوا من سكرتكم وعيشوا أحراراً سعداء) [1]. وعندما رأى الانحطاط والتمرد من جهة والتقدم والرقي من جهة أخرى، وعلم أسباب هذا الانحطاط هو تمسك الغربيين بأسباب العلم والنهوض بالمدنية والتوق إلى الحرية، بينما خضع الشرقيون إلى الحكم والاستعمار، فعانوا من إشاعة الذعر والخرافات وإشعال نار الفتنة والنفاق والتفرقة، إضافة إلى انتشار الجهل والأمية والمرض، فوقف فيهم قائلاً : (انظروا إلى العالم الغربي تروه على تقسيماته الحاضرة واستقلال عناصره بمميزاتهم القومية لما تساووا على الوجه النسبي للفضيلة، وأهمها العمل بالواجبات سواء كانت لهم ومعرفة وجوه المطالبة بها، أو عليهم للمسارعة لأدائها، انتفى من بين ظهرانيهم أمر التفرد بالسلطة وسوق الأمة على هوى السلطان وسينتفي ما بقي في العالم البشري من هذا النوع من الحكم المطلق على سنن التدريج ومقتضيات الفطرة) [2].

من هو هذا الرجل ؟

www.SID.ir

هو السيد جمال الدين بن صفتر بن علي بن

Archive of SID

مير رضي الدين محمد الحسيني الأسد آبادي الشهير بالأفغاني، عربي الأصل، هاشمي النسب، حسيني ينتسب إلى الأمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولد في شعبان سنة 1254هـ في أسد آباد من توابع همدان، وتوفي في شوال 1314هـ أو سنة 1315هـ في استانبول وصلى عليه في جامع التشويقية ودفن في مقبرة شيخلر مزارلغي أي مقبرة المشايخ التي تختص بقبور الأولياء والعلماء على مقربة من الجامع المذكور، وبعد خمسين سنة نقل جثمانه الأفغانيون ودفنوه في الأفغان [3].

والأسد آبادي نسبة إلى أسد آباد قرية على بعد سبعة فراسخ من مدينة همدان إلى جهة العراق بين همدان وكرمانشاه فيها نحو 800 بيت وعدد سكانها نحو 4000 نسمة [4].

وفي رواية أخرى ولد في قرية أسعد آباد في ناحية كنر بالأفغان، من أسرة عريقة يتصل نسبها بالحسين بن علي حفيد النبي العربي، ولها إمارة على مقاطعة صغيرة في الأفغان، وكان الإمام محمد عبده أول من ذكر ذلك في أول ترجمة كتبت لجمال الدين، فتناقله عنه مترجموه من بعده، ثم شك بعض الباحثين وفي مقدمتهم الأستاذ مصطفى عبد الرزاق في نسبته

www.SID.ir

Archive of SID

إلى الأفغان فقالوا أنه فارسي الأصل أفغاني النشأة [5].

وقال السيد صالح إبراهيم الشهرستاني الأديب الكربلائي المعروف ما هذا نصه: (لا يزال يوجد في أسد آباد من أفراد قبيلته أولاد وأعمام وعمات وأخوان وأخوات السيد جمال الدين ما ينيف على الخمسين نسمة بين ذكر وأنثى، ومنهم أحفاد أخ السيد جمال الدين وهو السيد محمود بن السيد كمال بن السيد مسيح المتوفى في عام 1300هـ أخ السيد جمال الدين بن السيد صفدر وهو مدرس مدرسة القرية عام 1351هـ قال: ولا تزال الغرفة التي ولد فيها السيد جمال الدين في دار والده الواقعة في محلة (سيدان) أي السادات على حالها حتى اليوم وتعرف أسد آباد عند أهل القرى المجاورة بقرية السيد جمال الدين. وقال: إن السيد محمود المذكور أهداه نسخة من كتاب فارسي فيه تاريخ حياة السيد جمال الدين للميرزا لطف الله الأسد آبادي، وأمه هي السيدة طيبة بيكم بنت السيد صفدر أخت جمال الدين وهو صاحب المذكرات عن خاله المذكور بالفارسية المطبوعة في برلين [6].

www.SID.ir

وجاء في كتاب (حاضر العالم الإسلامي): أن

Archive of SID

السيد جمال الدين ولد في أسد آباد بالقرب من همدان في بلاد فارس، وهو أفغاني الأرومة لا فارسي ينحدر نسبا - كما يدل عليه لقبه هذا - من العترة النبوية الطاهرة، ويجري في عروقه الدم العربي البحت الكريم فتراه قد نطق بالصواب من كونه ولد في بلاد إيران في أسد آباد بالقرب من همدان وجمع بين ذلك وبين كونه أفغانياً كما يدل عليه لقبه بأن أصل آبائه من الأفغان والذي دعاه إلى ذلك اعتقاده أن هذا اللقب لقب صحيح أما بعد ما عرفت عدم صحة هذا اللقب فتعرف فساد هذا الجمع [7]. وأشار المستشرق بروكلمان إلى أن جمال الدين إيراني أخفى إيرانيته لأسباب سياسية [8]. إلى ذلك ذهب المستشرق ماسنيون فكتب أنه إيراني قح [9]، وبمرور الأيام إزداد أنصار الرأي الذاهب إلى انتسابه إلى أسرة إيرانية.

وسواء أكان السيد جمال الدين أفغانياً أو إيرانياً أو مصرياً أو عراقياً، فهو عالم مجدد جاء لتخليص المسلمين من سلطة الاستعمار الأجنبي ومن الانحطاط المزمن الذي يفتك بهم. وفي هذا الخصوص ورد في كتاب (السيد جمال الدين الحسيني داعية التقريب والتجديد الإسلامي) ما هذا نصه : (فالسيد

www.SID.ir

Archive of SID

الحسيني لم يكن لا إيرانياً ولا أفغانياً ولا مصرياً ولا عراقياً ولا ... ولا ... بل كان عالماً مجاهداً أسد آبادياً وكابولياً وإسلامياً، كما جاء في تواقيعه المتعددة، لأنه وقف ضد الطغاة في كل مكان وطالب بإقامة الحكم الإسلامي والوحدة الإسلامية ودعا لنصرة المسلمين في أفغانستان والهند ومصر والسودان. وكان مصرياً وسودانياً أيضاً حيث واجه الاحتلال البريطاني لمصر والسودان (راجع مقالاته في العروة الوثقى) وقبل وبعد هذا كله فهو كان حسينياً كربلائياً لأنه رفع راية الرفض وهز علم الحرية وقد تسلمها من جده الشهيد الإمام الحسين (ع) وبذلك كان السيد الحسيني إسلاميا يدافع عن كل العالم الإسلامي ولأجل هذا فهو حيّ في ضمائر الشباب في كل من مصر والعراق وإيران وأفغانستان والهند وباكستان وتونس والمغرب وفلسطين وفي كل خلية تنبض بالرفض لكل أنواع التبعية والاستعمار [10].

يتصل الأفغاني نسبة إلى السيد علي الترمذي المحدث المشهور وأن نسبه يرتقي إلى سيدنا الإمام الحسين بن علي (ع) [11].

وقيل: أن هذا البيت عشيرة وافرة العدد تقيم في خطه (كنر) من أعمال كابل تبعد

www.SID.ir

Archive of SID

عنها مسيرة ثلاثة أيام، ولهذه العشيرة منزلة عليّة في قلوب الأفغانيين، لحرمة نسبها وكانت لها سيادة على جزء من الأراضي الأفغانية تستقل بالحكم فيها، وقد سلب الإمارة من أيديها يوسف محمد خان أحد أمراء الأفغان، وأمر بنقل السيد جمال الدين وبعض أعمامه إلى مدينة كابل. فولد السيد جمال الدين في قرية (أسعد آباد) الصواب: أسد آباد من قرى (كنر) وانتقل بانتقال أبيه إلى مدينة كابل وأنه دخل في سلك رجال الحكومة على عهد الأمير دوست محمد خان، ولما زحف الأمير إلى هرات ليفتحها على السلطان أحمد شاه صهره وابن عمه، سار السيد جمال الدين معه في جيشه، ولازمه مدة الحصار إلى أن توفي الأمير وفتحت المدينة. وتقلد الأمارة ولي عهدها شير علي خان سنة 1280هـ وأشار عليه وزيره محمد رفيق خان أن يقبض على أخوته، وكان منهم في الجيش ثلاثة: محمد أعظم ومحمد أسلم ومحمد أمين وكان هوى السيد جمال الدين مع محمد أعظم، فأخبروا بذلك وفر كل إلى ولايته التي كان يليها أيام أبيه، وبعد مجالدات عنيفة عظم أمر محمد أعظم وابن أخيه عبد الرحمان وتغلبا على عاصمة المملكة وأنقذا محمد

www.SID.ir

Archive of SID

أفضل والد عبد الرحمان من سجن عرنة وسميراه أميراً على أفغانستان، ومات بعد سنة. وقام في الأمارة بعده شقيقه محمد أعظم، وارتفعت منزلة السيد جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الأول، وعظمت ثقته به فكان يلجأ لرأيه في العظائم وما دونها[12].

ولعل من المفيد أن نشير إلى جهاده العلمي فقد جبل السيد جمال الدين على التعلم والتلقي منذ نعومة أظفاره، فقبل أن يبلغ العاشرة من عمره كان قد تعلم بالمنزل القراءة والكتابة ومبادئ اللغة العربية، وحفظ القرآن الكريم، وفي العاشرة من عمره رحل مع والده إلى إيران، حيث عمل والده مدرّساً في مدرسة (قزوين) وأصبح تلميذاً في هذه المدرسة التي أمضى فيها عامين، وتلقى العلوم العقلية والنقلية، وبرع في الرياضيات وفي أثناء ذلك لفت الأنظار بذكائه الحاد واجتهاده المتواصل وميوله المبكرة لدراسة العلوم واهتمامه بالفلك، ورغبته الأكيدة في قراءة كتب الطب، ومحاولته ممارسة التشريح فما أن أخذ ما توفر منها، سافر السيد جمال الدين سنة 1849م إلى النجف بالعراق لدراسة العلوم الدينية، وكذلك حضر في كربلاء وسكن بها مدة

www.SID.ir

Archive of SID

حسبما أوردته التقارير التي أثبتت التحاقه بمدرسة السردار حسن خان الدينية، حيث درس الفلسفة والحكمة وعلوم الدين والفقه وفنون الخطابة، وكانت هذه المدرسة قد أسست سنة 1180هـ / 1759م وتخرج فيها علماء مشهورون كان من بينهم الشيخ شريف العلماء والسيد جمال الدين الأفغاني [13]. ومن العراق عاد لزيارة الأسرة في (أسعد آباد) بالأفغان سنة 1854م عازماً على زيارة الهند ليتعلم فيها الرياضة الحديثة والعلوم الأوربية فسافر إلى (بومباي) ثم إلى (كلكته) حيث أقام بها أكثر من عام، ومن الهند سافر إلى (مكة) حاجاً سنة 1807م ثم عاد إلى العراق فإيران، ولما طلبت منه أسرته الإقامة معها في (أسعد آباد) اعتذر قائلاً: (أنني كصقر محلق يرى فضاء هذا العالم الفسيح ضيقاً لطيرانه وأني لأتعجب منكم إذ تريدون أن تحبسوني في هذا القفص الضيق الصغير)، وبعد زيارة لطهران وخراسان توجه عائداً إلى أفغانستان، حيث عكف على كل ما يقع تحت يديه من كتب الأدب والثقافة العربية التي كانت تصدر آنذاك. وفي (كابل) بدأ السيد جمال الدين الإسهام في النشاط العام، فألف كتابه الأول (تتمة البيان في تاريخ الأفغان) باللغة العربية

www.SID.ir

Archive of SID

التي كان يجيدها هي وبعض اللغات الأخرى كالفارسية والأفغانية ثم أضاف إليها التركية والفرنسية مع إلمام كاف بالإنكليزية والروسية.

ألقى جمال الدين بثقله في العمل السياسي والوطني مناصراً حكومة الأمير الوطني محمد أعظم خان ومشاركاً في معارك ضارية ضد الإنكليز عام 1862م، وارتقى في مناصب الحكومة الوطنية حتى أصبح الوزير الأول لرئيس الوزراء، تلك هي السنوات الأخيرة للقرن التاسع عشر التي شهدت فيها الحياة الثقافية دعوة النهضة العربية للانفتاح على الحضارة الغربية، عندما بدأت الدولة العثمانية تستسلم تدريجياً للغرب كحضارة جديدة متقدمة. منذ ذلك الوقت ونشاط السيد جمال الدين يسجل لنا أحداثاً مثيرة. ولما دارت الدائرة على الأمير الوطني وهزم سنة 1868م، عرف السيد جمال الدين طريقه إلى الترحال ثانية، فتوجه من أفغانستان إلى الهند ثم إلى مصر والأستانة والحجاز فالعراق فإيران وروسيا ولندن وباريس، وكانت دعوة السيد جمال الدين إلى صحوة الأمة الإسلامية وايقاظها من كبوتها وتجديد الفكر الإسلامي، حتى استقر بظل الإسلام في

www.SID.ir

Archive of SID

مصر، ورحب به كبراء الدولة، وكان مصر إذ ذاك كعبة القاصدين ومثابة للمتفقهين يتردد إليها العلماء ويحف بها الأدباء ويلوذ بها الأوفياء فيعترفون له جميعاً بجلالة القدر. وحال وصوله استقبل استقبالا منقطع النظير، وأقيم له احتفالا كبيراً حضره الشاه القاجاري، وكانت السنوات التي عاشها السيد جمال الدين في مصر (1288- 1296 هـ) (1871-1879م) هي أخصب السنوات في تاريخ إنجازاته العسكرية والسياسية، ففيها ربّى نخبة صالحة من العقول النيّرة، وشرح من كتب الفلسفة والكلام والمنطق، وأعاد للحياة الفكرية قسمة العقلانية الإسلامية، ونشأت على يديه مدرسة الصحافة الأهلية الحرة صحف مصر والتجارة ومرآة الشرق، وتيار شعبي لمعارضة الاستبداد الداخلي والثورة على النفوذ الأجنبي كما عرفت على يديه طلائع التنظيمات السياسية والإصلاحية والحزب الوطني الحر. وفي مصر شرع يلقي دروساً بيتية في الدين والفلسفة والاجتماع، وحتى في المقاهي كان يلقي البيانات ليحول أذهانهم سياسياً واجتماعياً، ويلتقي برفاق دربه ومجموعة من طلبة الأزهر المتنوري الأفكار وكوكبة من زملائه تلك النخبة المثقفة وعلى رأسها

www.SID.ir

Archive of SID

الشيخ محمد عبده الذي صار من ملازمي مجالسه. وكان الشيخ محمد عبده قد شكل مع الطهطاوي وجمال الدين الأفغاني أئمة التجديد في الفكر الإسلامي الحديث. وفي مصر كان السيد جمال الدين موضع اهتمام ورعاية (رياض باشا) رئيس دولة مصر طيلة مدة اقامته، وكان في قمة الثورية والحماس لتخليص المسلمين من ربقة الاستعمار، فانطلق بفكر إصلاحي مضاد للفكر الحاكم في شجاعة وقوة يمتلك إرادة التغيير وأجبر الظلمة والفاسدين على السقوط، ليزيل ظلمة التفكير المعادي على سماء العالم الإسلامي، مستعيناً بالشباب الواعي الذي انتهل من مدرسته وبخاصة الشيخ محمد عبده الذي وجد فيه تلميذاً مخلصاً أبان السنوات التي قضاها في مصر.

ولا ننسى أن الفكر العربي المصري قاوم الحملة الفرنسية، كما قاوم الثورة العربية وقاوم ثورة 1919م. ويمكن اعتبار السيد جمال الدين أحد أهم الأساسات القديمة التي أججت نار الثورة على الاستعمار والاستبداد على حد سواء. فقد كشف لهم من فساد المستبدين الحاكمين وطغيانهم وتسلط الاستعمار على البلاد من طريقهم، وألقى

www.SID.ir

Archive of SID

خطاباً أهاج فيه المشاعر وأثار كوامن الحماس في النفوس، فهاجم السياسة الإنكليزية في جريدته (العروة الوثقى) وطرح السيد جمال الدين آراءه وأفكاره وعقائده الثورية بقلمه البليغ وبيانه الناصع وأسلوبه المثير للحماس، وحارب الاستعمار وهدد أمنه واستقراره وحارب إخطبوطه ونفوذه وقواه وعملاءه، وكان يلتمس العون من كل الذين تتناقض مصالحهم ومصالح الإنكليز.

كان السيد جمال الدين يجمع حوله الأعوان وعرف أن نجاحه في وحدتهم وتأخره في تفرقتهم وفي سوء الإدارة. بلغ نشاطه السياسي في مصر أوجه في الفترة المحصورة بين 1876 و1878 حيث كان مركزه مهماً، فهو من تلك الشخصيات العظيمة التي تسرع بخطى التاريخ إلى الأمام، بدل تركها تسير في مجراها الطبيعي.

كان يكره الإستعمار منذ أن اصطدم به في أفغانستان والهند، كما كان يكره طغيان الحكام الذين مهدوا للإستعمار التغلغل بأنانيتهم وجهلهم، ونادى بتقييد سلطتهم بالدساتير ورقابة الشعب. وقد اجتذبت آراؤه وشخصيته في مصر الصفوة المفكرة التي غرس فيها معاني الحرية والنخوة والثورة. وفسر

www.SID.ir

Archive of SID

الأدب تفسيراً جديداً. فهو لابد أن يخدم الشعب فيطالب بحقوقه ويدافع عن ظلمه، ويهاجم مَن اعتدى عليه أياً كان، ويبين للناس سوء حالهم ومواضع بؤسهم، ويبصّرهم بمن كان سبب فقرهم، ويحرضهم على أن يخرجوا من الظلمات إلى النور، وألا يخشوا بأس الحاكم، فليست قوته إلا بهم، ولا غناء إلا منهم، وأن يلحوا في طلب حقوقهم المغصوبة وسعادتهم المسلوبة، وهكذا نجده يخرج على الناس بأدب جديد ينظر للشعب أكثر مما ينظر للحاكم وينشد الحرية ويخلع العبودية، ويفيض في حقوق الناس وواجبات الحاكم ، ويجعل من الأديب مشرفاً على الأمراء لا سائلاً يمد يديه للأغنياء [14]. أخذ نشاطه يشكل خطراً على الحكومة المصرية وبخاصة الدروس التي كان يلقيها على تلامذته وأعوانه المتعلقة بالأحوال السياسية وضرر التدخل الأجنبي الذي يسيطر على البلاد.

وأخذ يدرب الشباب على الكتابة ويوحي اليهم بالمعاني الجديدة التي يكتبونها، ويشجعهم على إصدار الصحف التي تتصدى للكتابة في الموضوعات التي تمس حياة الامة في صميمها، فشجع أديب اسحاق على أن ينشئ جريدة (مصر) التي كان جمال الدين يرسم له

www.SID.ir

Archive of SID

خطة السير فيها، ويكتب بنفسه مقالاتها باسم مستعار، كما شجعه على اصدار صحيفة (التجارة) وأخذت هاتان الجريدتان تنشران ما يوضح مبادئ الوطنية ويعرف الناس باصول المبادئ الحرة، وأصدر ميخائيل عبد السيد بايحاء من جمال الدين جريدة (الوطن) ذات الصبغة السياسية الأدبية التي انضمت إلى شقيقاتها قبل الاحتلال وبعده في تعضيد الحركة الوطنية، و شجع يعقوب صنوع على اصدار مجلة هزلية اسمها (ابو نضارة) التي كانت اولى الجرائد العربية التي تكتب باسلوب عامي فكه وساخر، وانتقدت التدخل الأجنبي والامتيازات المختلفة التي كان يتمتع بها الأجانب في البلاد، كما نقدت اسماعيل نفسه مما ترتب عليه مصادرة المجلة ولما يمض على صدورها وقت طويل، وان استأنف صنوع تحريرها بعد استقراره في فرنسا، وأخذت تهرب أعدادها إلى مصر حيث لقيت إقبالا كبيراً. ومن وراء هذه الصحافة الناشئة كان نشاط جمال الدين في انشاء تكتلات ضد الهيئات الماسونية والأجنبية، هذه التكتلات كانت تضم فئات مصرية مختلفة من ادباء مصريين وسوريين وضباط وعلماء وباشوات وامراء إلى بعض النابهين من طلبة

www.SID.ir

Archive of SID

الأزهر وخريجيه، وبعض أعضاء مجلس شورى النواب الذي أنشأه اسماعيل عام 1866م ليشاركه الأعيان في سياسته المالية، وليظهر أمام اوروبا بمظهر الحاكم العصري فيسهل عليه عقد القروض [15].

إلا أن الشعور العام في البلاد كان ضد اسماعيل الذي اعتبره المواطنون السبب الأول في التدخل الأجنبي والمصائب التي حلت في البلاد. وقد أقنع جمال الدين أهل الرأي بسخافة فكرة الدفاع عن اسماعيل، إذ أن خوض غمار الحرب دفاعاً عنه لن يلقى تأييداً من جميع الطوائف بما فيها الجيش [16].

لم يقف السيد جمال الدين مكتوف الأيدي تحت حكم بريطانيا، بل أخذ يدعو إلى المقاومة واليقضة والوحدة بكل وسيلة وذهب إلى إشعال فتيل المعارك لخلق أجواء التنافس، فحرك كوامن النفوس وفجّر الطاقات الخلاقة، فاتسعت دائرته وبذلك حقق أفضل النتائج الإيجابية. فبدأ يهاجم السلطان عبد الحميد العثماني خليفة المسلمين المستبد، ويدعو إلى اغتيال المستبدين، اسماعيل خديوي مصر وناصرالدين العظيم شاه ايران، والوقوف بوجه الاستعمار، ولما شعر حكام مصر ابان ذلك الوقت بخطر السيد جمال الدين

www.SID.ir

Archive of SID

أبعدوه خارج مصر، من مصر سنة 1296هـ والمصادف لسنة 1879م إلى ايران.

ومن الجدير بالذكر أنه كان يدعو إلى صحوة إسلامية عامة وتحرير الممالك الإسلامية من السيطرة الأوروبية وإنقاذها، والى ترقية شؤونها الداخلية و الادارات الحرة المنظمة. وقد أخرج من مصر بحجة أنه ترأس (جمعية سرية من الشبان ذوي العلمية ومجتمعة على فساد الدين)فسار إلى إيران، ثم قصد الهند ومكث هناك فترة من الزمن حتى هزيمة الثورة العربية واحتلال الانكليز فسار إلى فرنسا وهناك أصدر مجلة (العروة الوثقى) لتعبر عن فكره السياسي ومواجهة الاستعمار الانكليزي. وكانت مجموعة العروة الوثقى التي أصدرها السيد جمال الدين والشيخ محمد عبدة تحمل خميرة الثورة على الاستعمار والاستبداد معاً. وانتهى بالسيد جمال الدين المطاف في الأستانة حيث ألقى فيها عصا الترحال. وهناك استقبله الصدر الأعظم استقبالاً حافلاً، كما رحب به رجال الدولة وعين فيها عضواً في مجلس المعارف وخطب خطبة في القاعة واستغل وجود فرصة تحرير ارادة السلطان عبد الحميد (1258- 1336هـ) = (1842 - 1918م) من قبضة حاشيته الغارقة في الرجعية والجهل والفساد

www.SID.ir

Archive of SID

والتفرقة، وسعى إلى بعث الروح الوطنية في حركة الجماعة الاسلامية، وعبر ذلك سنرى السيد جمال الدين يصارع العاصفة وينتصر، وتطلع إلى سد ثغرة الشقاق المذهبي بين ايران وتركيا لقطع الطريق على الاستعمار، فكان مستعداً لخوض الكفاح المسلح لكي يتجنب الوطنيون الوقوع بأيدي المستعمر البغيض، لأن القبض عليهم واعتقالهم سيحرم الحركة الوطنية من جهودهم وأعمالهم وينزل الضرر بالقضية.

لقد بلغ من تأثير مجلة (العروة الوثقى) على الفكر والسياسة في تلك الفترة، فضلاً عن اعادة طبعها ست مرات، أن خمس دوريات تحمل اسمها ظهرت خلال هذا القرن، منها واحدة في تونس والأربع الاخر في مصر والشام. ولكن تظل أهمية دورها كامنة في ذلك التيار الاسلامي الذي بدأته في الصحافة العربية ونقلة نوعية إلى الفكر والسياسة في العالم العربي.

لابد من التذكير أن السيد جمال الدين كان داعية لتحرير العقل من قيود الجمود والتقليد، ثم لتحريك قافلة الإسلام، وان هذه التحديات التي تواجهنا اليوم سوف تتلاشى عندما يعتنق المسلمون الإسلام الحقيقي، ويدخلون في دين الله أفواجا، حكاماً وشعوباً

www.SID.ir

Archive of SID

وكثيرون من أقطار الثورة العربية مدينون بأفكارهم وحماسهم للسيد جمال الدين .

ظل السيد جمال الدين يتصدى للاستعمار وكسر قيوده فضلاً عن ذلك فهو من العاملين المجدين والثائرين على الظلم وثالوث التعاسة والشقاء (الجهل والفقر والمرض)، لكن بعض المضللين و المتلبسين بلباس الدين وأنصار الجهل من شيوخ العلم شاغبوا عليه وأقالوه من منصبه .

هذا الثائر والمفكر كان عارفاً بالآثار والسنن، وقوى المشاركة في العلوم.

لقد تزهد وساح البلاد ودخل الحرمين والشام وتركيا، وله في كل بلد دخله مآثر، وأخذ يسهم بروحه الحية في إذكاء أوار النار التي تصهر بها وجودنا القومي والإنساني، فكان صاحب رسالة يحملها الملايين من الشعب العربي والاسلامي للتصدي لقوى الاستعمار، ومعالجة معضلاته الثورية والقومية والفكرية وتوجيه الأمة الإسلامية نحو الكمال. ولابد من القول أن السيد جمال الدين لم يترك كماً من الكتب التي تستحق التنويه سوى ماذكره صاحب كتاب (علماء بزرك شيعة) - (فارسي) - أن له آثاراً منها: رسالة ابطال دهريها، وتاريخ أفغان في ثلاث مجلدات[17]، بيد أنه ترك روحاً جديدة في نفوس المشرقيين وكان غرضه السياسي توجيه

www.SID.ir

Archive of SID

كلمة المسلمين وجمع شتاتهم تحت ظل دولة واحدة فلم يوفق إلى ذلك لكنه وفّق إلى تحريك الهمم واستحثاث الخواطر إلى السعي في هذا السبيل [18].

وقد أيده عن قناعة معظم شعراء مصر وأدبائه واستعان الخديوي بالانكليز فقضوا على هذه الثورة ونكلوا بالأحرار.

يعتبر السيد جمال الدين أن السبيل الوحيد لنجاة الإسلام والمسلمين هو العمل بأحكام القرآن وتطبيقها تطبيقاً دقيقاً [19]، وهو من أوائل المسلمين الذين دعوا إلى ذلك في العصر الحديث.

ولعلي لا أعدو الحقيقة إن قلت أن الاختلاف الحزبي والمذهبي في الأمة الإسلامية ليوصلها إلى طريق مسدود، وقد سبق السيد جمال الدين أن أوضح منذ البدء أن الاستعمار الغربي هو العدو الأساس الذي يتربص الدوائر بالوحدة الإسلامية، وان على المسلمين أن يتوحدوا لمواجهة هذا الخطر المحدق بهم، قال الله تعالى في محكم كتابه (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا...) [20].

www.SID.ir

أو قوله تعالى (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله

Archive of SID

مع الصابرين)[21] .

لقد مضى قرن ونيف على رحيل السيد جمال الدين المفكر الإسلامي الرائد، وأفكاره مازالت ذات صلة وثيقة بعالم اليوم، وأنه لمن الأهمية بمكان إعادة قراءة أفكاره على ضوء معطيات العصر .

ثمة ملاحظة أخرى ننهي بها البحث هي أن دراسة السيد جمال الدين في الحواضر الإسلامية لاسيما تلك التي ضمت مزارات أهل البيت (ع) في النجف وكربلاء وتبنيه لأفكار وآراء أئمة أهل بيت الرحمة من خلال طروحاته ومقالاته، لها دلالة على تشيعه بالرغم من أن بعض المفكرين العرب لا يعدوه كذلك لنظرتهم له من منظار قومي أو أممي فضلاً عن التزامه بالتعاليم الإسلامية والأخلاقيات البعيدة عن التعصب وغيره، وهذا يقودنا بالتالي إلى أن منهج السيد جمال الدين منهج فوق الميول والاتجاهات الفكرية وهو يدعو بذلك إلى صحوة إسلامية شاملة وإلى عالم إسلامي بعيد عن الطائفية .

الهوامش:

1- تاريخ محمد عبده / رشيد رضا، ج1، ص 46 .

2- جمال الدين الأفغاني حكيم الشرق - قدري قلعجي، ص 17 - 18 .

www.SID.ir

Archive of SID

3- علماء بزرك شيعة - فارسي -، جرفاد قاني، ص 314 .
4- السيد جمال الدين الحسيني داعية التقريب والتجديد الإسلامي - السيد هادي الخسروشاهي. ص23. نقلاً عن مقال بقلم السيد محسن الأمين.
5- جمال الدين الأفغاني حكيم الشرق ص23و 24.
6- مجلة العرفان اللبنانية مج24 .
7- حاضر العالم الإسلامي - لوثروت ستودارت / تعريب عجاج نويهض، ج1 ص 135.
8- جمال الدين الأفغاني بين دارسيه / علي شلش (القاهرة، دار الشروق - 1987م) ص31.
9- المصدر السابق ص31.
10- السيد جمال الدين الحسيني، السيد هادي الخسروشاهي. ص417 .
11- جمال الدين الأفغاني - قدري قلعجي ص24.
12- السيد جمال الدين الحسيني - السيد هادي الخسروشاهي ص25 و26 .
13- مجلة (الحبل المتين) (10 رجب 1328هـ / 1910م)
14- الثورة العرابية / د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ص42 و43 (المكتبة الثقافية أول فبراير 1961م)
15- المصدر السابق، ص 43 - 44 .
16- المصدر السابق، ص48 .
17- علماء بزرك شيعة، جرفاد قاني، ص 313 .
18- تاريخ آداب اللغة العربية / جرجي زيدان ج4، ص642.
19- الأعمال الكاملة / الأفغاني جمال الدين - محمد عمارة، ج2 ،ص67.
20- آل عمران/ 103 .
21- الأنفال/ 46 .

www.SID.ir